


دلالة المطرِ على توحِيدِ اللّه تعالى والمسائل المتعلقة بها

نورة عبد الله سلطان الشهري

أكاديمية سعودية، طالبة دكتوراه، بجامعة الملك خالد، ورئيسة قسم التوعية الاسلامية بإدارة التعليم بمحافظة النماص

ملخص البحث

البحث يتناول العَلاقة بين المطر وتوحيد الله بأنواعه الثلاثة:

جاء في المبحث الأول: الحديث عن علاقة المطر بتوحيد الربوبية، وأنه من الآيات الكونية الدالة على ربوبية الله، مع بيان حكم نسبة المطر إلى غير الله حسب الأقسام الثلاثة، وهي: نسبة إنشاء وابتداء، ونسبة المطر إلى سبب نزوله، ونسبته إلى زمن جرت العادة به مع إيضاح ذلك بالأمثلة.

أما المبحث الثاني: فتناول موضوع علاقة المطر بتوحيد الألوهية، وما يُشرع من العبادات قبل المطر وفي أثنائه، وإذا كثر وخيف ضرره.

والمبحث الثالث: تضمن الحديث عن علاقة المطر بتوحيد الأسماء والصفات، وأن المطر شاهد على أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلا، مع ذكر بعضٍ من الأسماء والصفات؛ لعدم القدرة على الإحاطة بها جميعًا في هذا المبحث.

كما تضمن البحث عرضَ بعض الشبهات المتعلقة بالمطر والرد عليها.

وفي الختام أوصي بما يلي استكمالًا للفائدة:

بحث دلالة المطر في بقية مسائل الاعتقاد مرتبة على أركان لإيمان.

بحث بقية الظواهر الكونية كالرياح والزلازل وغيرها مرتبة على أركان الإيمان.

نورة عبد الله سلطان الشهري

taweah_namas@hotmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

وبعد؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ حين خلق الإنسان على هذه الأرض هيّأ له أسباب الحياة التي تعينه على العيش فيها، ويسّر له سبلها، وجعلها شاهدة على عظمته وكمال قدرته، ومن أعظم هذه الأسباب الدالَّة على كمال الله ووَحدانيته، خلق الماء الذي جعله الله السبب الرئيس للحياة، فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقد جعله دليلًا على ربوبيته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وعلى استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، ودالًا على معاني أسماء الله وصفاته، وتفرده بالكمال المطلق، ويلزم من هذا أداء حقِّ هذه النعمة بشكرِها والاعتراف لله بفضلِها، والإقرار بأنها من عند الله وحده، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ [الملك: ٣٠].

وبما أن الماء مما يلامس حياة الناس اليوميَّة، في شرابهم وطهورهم، وسائر معيشتهم؛ رأيت أن ألفت نظر القارئ إلى الارتباط العقدي بين المطر -بصفته أحد أهم مصادر المياه- من جهة، وتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ من جهة أخرى، بعد أن غابت بعض المفاهيم التي تربط المطر بالتوحيد؛ حتى إذا ما نزل الغيث أحيا في قلب المسلم الإيمان، وأوقد جذوته، وأنار قلبه بنور الله، وجعل نزول المطر سببًا من أسباب تجديد الإيمان في القلب، فيحمد الله ويشكره، ويستشعر عِظَم هذه النعمة، فينسبها إلى ربِّه، ولا ينسبها إلى غيره من المخلوقات والأسباب.

❁ أهميَّة الموضوع وأسباب اختياره:

أولًا: كون المطر آيةً من آيات الله العظيمة الدالَّة على توحيد الله، التي ترتبط بالتوحيد بجميع أنواعه؛ لهذا أردت أن أبيِّن للقارئ أوجه الارتباط بين المطر والتوحيد.

ثانيًا: ما رأيت من تساهُل بعض الناس في نسبة المطر إلى غير الله، لذا أردت أن أوضح أحكام ذلك.

ثالثًا: ما رأيت من تعلُّق بعض الناس بالأخبار الصادرة من الأرصاد الجويَّة، عند توقع نزول المطر، دون اعتبار لنظر الشرع في ذلك.

رابعًا: الغفلة التي نلاحظها عند بعض الناس، وعدم التعلَّق بالله حال انقطاع المطر، نتيجة توفر المياه من مصادر أخرى غير المطر، فأردت أن أوضح الواجب على المسلم حال انقطاع المطر، حتى لو توفَّر الماء، وعلاقة ذلك بتوحيد الألوهيَّة.

❁ أهداف البحث:

أولًا: بيان العلاقة بين المطر وتوحيد الربوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصفات.

ثانيًا: الردُّ على بعض الشُّبهات العقديَّة المتعلِّقة بالمطر.

❁ مشكلة البحث:

إن نزول المطر من أعظم آيات الله الكونية الدالة عليه تعالى وعلى توحيده بأنواع الدلالات المختلفة، لكن بعض الناس –مع ذلك– يغفلون عنه، ويضعف إدراكهم له لأسباب كثيرة، وهذا البحث يساعد في معالجة المشكلة ببيان ما في

المطر من الدلالة على توحيد الله؛ بإفراده بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

❁ الدِّراسَات السَّابقة:

توجد بعض الدراسات التي تناولت موضوع المطر وبيانها فيما يلي:

أولًا: كتاب المطر والرعد والبرق، مؤلفه: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق وتخريج: طارق محمد العمودي، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م.

وهو كتاب خاص بتخريج الأحاديث الواردة في المطر والرعد والبرق والريح، من غير دراسة تلك الأحاديث أو التعليق عليها، وبيان لأحكامها.

ثانيًا: الأحكام المتعلِّقة بالمطر في الفقه الإسلامي، وهي رسالة لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي، من قسم الفقه، بكلية الشريعة، من جامعة الامام محمد بن سعود، من إعداد الباحث: سعد بن علي بن عبدالله الأسمري، وإشراف: د. مساعد بن قاسم الفالح، للعام الجامعي ١٤٢٣ هـ.

وهي دراسة تناولت الأحكام الفقهية للمطر؛ إذ تطرق الباحث الكريم إلى بيان أحكام المطر في العبادات، كأحكام المطر في الصلاة والزكاة والحج والصيام، كما تطرق الباحث إلى بيان أحكام المطر في غير العبادات؛ مثل أحكام تملك المطر، وحق السيل، وأحكام قلة المطر وكثرته، بالإضافة إلى أحكام الاستسقاء، وهي في مجملها تتناول الجانب الفقهي للمطر.

ثالثًا: الآيات الكونية دراسة عقدية، وهي رسالة: مقدمة لنيل درجة

الماجستير، في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من إعداد الباحث: عبد المجيد بن محمد الوعلان، وإشراف: د. عبد الكريم بن محمد الحميدي، للعام الجامعي: ١٤٣٢هـ/ ١٤٣٣هـ.

وهي دراسة شاملة للآيات الكونيَّة في السماء والأرض، كالشمس، والقمر، والنجوم، والرعد، والبرق، والمطر، وحركة الأرض، والجبال، والزلازل، والبراكين، والبحار، والأنهار، وغيرها من الآيات، تطرَّق فيها الباحث إلى المطر بشكل مجمل فيما يتعلق بتوحيد الله، فقد بيَّن في مبحث الربوبية أن المطر من الآيات الدالة على ربوبية الله وأنه خالق كل شيء، وأما في مبحث الألوهية فقد تطرق الباحث إلى حكم التبرك بماء المطر فقط، وأما في مبحث الأسماء والصفات فقد تطرق الباحث الى الصفات التي يدل عليها المطر؛ فاقتصر على ذكر بعضٍ من الصفات، وهي: صفة الرحمة، والحكمة، والعلو، والصفات الفعلية لله عَزَّوَجَلَّ، وبناء على هذا فإن الباحث لم يستوفِ جميع المسائل التي تدل على علاقة المطر بتوحيد الله جل وعلا.

ومن خلال ما سبق؛ فإنني لم أقف على دراسة اختصَّت ببيان علاقة المطر بتوحيد الله؛ لذا رأيت أن أتناول هذا الموضوع بالبحث والدِّراسَة، وعُنيت بذكر بعض المسائل التي لم أجدها في الدراسات السابقة؛ مثل ما في مبحث الربوبية من بيان حكم نسبة المطر إلى غير الله، وما في مبحث دلالة المطر على توحيد الألوهية من بيان العبادات التي تُشرع قبل نزول المطر، وعند نزوله، وإذا خيف الضرر، وأما في مبحث الأسماء والصفات فقد تحدثت عن صفة العلم، وناقشت مسألة اختصاص الله بعلم إنزال المطر، كما ذكرت بعض الصفات التي لم أجدها

في البحوث السابقة، كدلالة المطر على صفة الرزق، والخلق، والاحياء، والإماتة، هذا وأسال الله أن يكون ما عرضته في بحثي مفيدًا للقارئ، والله الموفق إلى سواء السبيل.

۞ منهج البحث:

اعتمدت على منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي، وذلك في حصر الأدلة والموضوعات المتعلقة بالمطر لبيان دلالته على أنواع التوحيد الثلاثة؛ لإثبات أن الله خالق المطر وموجده وحده لا شريك له، مع إثبات ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلا، مما يستلزم صرف العبادات المتعلقة بالمطر لله وحده.

الثاني: المنهج الوصفي التحليلي في دراسة ظاهرة المطر، وتحليل النصوص والمسائل المتعلقة بذلك؛ لإثبات دلالته على توحيد الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

۞ إجراءات البحث:

أولًا: عزو الآيات عند ورودها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع الالتزام برسم المصحف عند إيراد الآيات القرآنية.

ثانيًا: تخريج الأحاديث من المصادر الأصلية ما أمكن ذلك.

ثالثًا: توثيق المراجع؛ بذكر بيانات المرجع كاملًا عند أول ورود له.

رابعًا: عند النقل بالمعنى من أحد المراجع أكتبُ في الحاشية كلمة (انظر).

❁ خطة البحث:

المقدِّمة، وقد اشتملت على مدخل عن دلالة المطر على توحيد الله، ثم بيان لأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، والإجراءات المتبعة في البحث، وخطة البحث.

التمهيد، وقد اشتمل على بيان لمفردات عنوان البحث في اللغة والاصطلاح، فتضمن بيان المصطلحات التالية: (دلالة – المطر – توحيد الله)، ثم بيان المعنى العام للبحث.

المبحث الأول: دلالة المطر على توحيد الربوبيَّة، وفيه تمهيد، ومطلبان:

المطلب الأول: المطر شاهد على ربوبية الله.

المطلب الثاني: حُكم نسبة المطر إلى غير الله.

المبحث الثاني: دلالة المطر على توحيد الألوهيَّة، وفيه تمهيد، وأربعة مطالب:

المطلب الأول: العبادات التي تشرع قبل نزول المطر.

المطلب الثاني: العبادات التي تُشرع عند رؤية السحاب الثقال.

المطلب الثالث: العبادات التي تُشرع عند نزول المطر.

المطلب الرابع: العبادات التي تُشرع إذا كثُر المطر، وخِيف الضرر.

المبحث الثالث: دلالة المطر على توحيد الأسماء والصفات، وفيه تمهيد، وخمسة مطالب:

المطلب الأول: دلالة المطر على اسمي (الرحمن والرحيم)، وعلى صفة (الرحمة).

المطلب الثاني: دلالة المطر على اسم (العليم)، وعلى صفة (العلم).

المطلب الثالث: دلالة المطر على اسم (الرزاق)، وعلى صفة (الرزق).

المطلب الرابع: دلالة المطر على اسم (الخالق)، وعلى صفة (الخلق).

المطلب الخامس: دلالة المطر على اسمي (المحيي والمميت)، وعلى صفتي (الإحياء والإماتة).

الخاتمة.

المراجع.

الفهرس.



التمهيد

التعريف بمفردات البحث

(دلالة المطر على توحيد الله)

۞ المسألة الأولى: بيان معنى دلالة:

۞ أولاً: المعنى اللُّغوي لكلمة (دلالة):

"الدلالة مصدر الدليل بالفتح والكسر"[١]، فيقال دَلالة بالفتح ويقال دِلالة بالكسر، والدليل: هو ما يستدل به على الأشياء، والدليل أيضًا هو: الدال[٢]، والدال هو الذي يدل الآخرين على الطريق ويعرفهم به[٣]، وقد جاء في كتاب الله لفظ الدلالة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٥].

فهذه الآية جاءت في معرض بيان الله عَزَّوَجَلَّ للأدلة الدالة على وجوده، وقدرته الكاملة في خلق الأشياء المتضادة وإيجادها[٤]، آمرًا عباده بالتفكر في قدرته على مد الظل: وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ثم جَعل الشمس دليلًا على وجود الظل وشاهدًا عليه؛ لأنه لو لم تكن هناك شمس لما عُرِف الظل[٥].

---

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال (٨/ ٨).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، (١١/ ٢٤٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (١١/ ٢٤٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ(٦/ ١١٣).

(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة =

من هنا يتبين أن المعنى اللغوي للدلالة هو الاستدلال على الشيء والشهادة عليه.

❁ ثانيًا: المعنى الاصطلاحي لكلمة (دلالة):

جاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن الدلالة هي: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"(١).

وعلى هذا يكون المعنى: هو أن المطر دليل وشاهد على وحدانية الله، وما يتبع ذلك من العبادات اللازمة لتحقيق التوحيد.

۞ المسألة الثانية: بيان معنى المطر

المعنيان اللغوي والاصطلاحي للمطر جاءا بمعنى واحد، وهو الماء المنسكب من السحاب النازل من السماء(٢).

۞ المسألة الثالثة: بيان معنى التوحيد

❁ أولاً: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد:

التوحيد: "مصدر وحُدَ يَوْحُدُ وَحَادَةً ووَحْدَةً ووَحَدًا"(٣).

ويأتي في اللغة بمعنيين:

الأول: الوحدة والانفراد، والواحد المنقطع النظير والمثيل(٤).

=

للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ (٦/ ٨٦).

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ (ص: ١٠٤).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٥/ ١٧٨).

(٣) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٢٨١).

(٤) انظر: لسان العرب (٣/ ٤٤٦).

الآخر: الواحد الذي لا يتجزأ، ولا يثنى ولا يقبل الانقسام(١).

ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى: "الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وعلى هذا فإن معنى التوحيد في هذا المقام هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانيَّة"(٢).

من خلال التعريف اللغوي يتبين أن كلمة التوحيد تدور حول الانفراد والوحدة، فالله عَزَّوَجَلَّ تعالى عن النظير والمثيل، واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؛ لهذا وجب على العباد أن يوحِّدوه بالعبادة فلا تُصرف لغيره.

❁ ثانيًا: التعريف الشرعي للتوحيد:

للتوحيد عدة تعريفات، كلها تتضمن معنًى واحدًا، وهو وحدانية الله، وتحقيق هذه الوحدانيَّة، من ذلك أن التوحيد هو "الاعتقاد بأن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ندَّ له"(٣).

وهذا لأن التوحيد يتضمن الاعتقاد بأن الله واحد في ربوبيته، وأنه المالك المدبر الخالق، وواحد في ألوهيته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، وأنه واحد في أسمائه وصفاته لا شبيه له ولا نظير ولا مثيل، وقد جاء معنى التوحيد

---

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور (٣/ ٤٤٦).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٤٦)؛ والعين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٢٨١).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة (ص: ١٧).

بأنواعه في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

من العلماء من جعل التوحيد نوعين: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، والتوحيد الطلبي القصدي الإرادي، ومنهم من جعل التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والحقيقة أنه لا خلاف بين العلماء في أنواع التوحيد؛ إنما هو تنوع في العبارات والتقسيمات فقط، وإلا فتوحيد المعرفة والإثبات يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات؛ لأنه متضمن لتنزيه الرب والدلالة على وحدانيته، أما توحيد الإرادة والقصد فيتضمن توحيد الألوهية؛ لأنه متضمن لتوحيد العبادة لله، وإفراده في الطلب والقصد، والتوجه إليه بجميع أنواع العبادة(١).

وقد اعتمدت في بيان دلالة المطر على توحيد الله، والمسائل المتعلقة بذلك، على قول المتأخرين، الذين جعلوا التوحيد ثلاثة أنواع.

التعريف المجمل للعنوان:

يستنتج مما سبق أن معنى موضوع البحث هو دلالة المطر على وحدانيَّة الله، وبيان المسائل العقديَّة المتعلقة بالمطر، فيما يخصُّ توحيد الربوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصفات.

---

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، طبعة دار ابن القيم، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ (١/ ٩٨)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ (١/ ١٢)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ (ص: ١٠٨).

المبحث الأول

دلالة المطر على توحيد الربوبيَّة

وفيه تمهيد، ومطلبان

۞ تمهيد:

جعل الله عَزَّوَجَلَّ المطر دليلًا وشاهدًا على وحدانيته وإثبات ربوبيته، وأنه الربُّ الخالق المستحقُّ للعبادة وحده دون سواه، وقد خاطب الله عباده بذلك، وأمرهم بالتفكر في قدرته على خلق المطر وإنزاله، ولبيان ذلك لا بد من تعريف توحيد الربوبية.

۞ أولاً: معنى (الربوبية) لغة:

الربوبية في اللغة مشتقة من الرب، وكلمة الرب لها ثلاثة إطلاقات:

الأول: الرب هو المالك، ورَبُّ الشي يعني مَالِكُهُ[(١)].

الثاني: الرب هو السيد المطاع، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا ﴾ [يوسف: ٤١] أي: سَيِّدَه[(٢)].

الثالث: الربُّ هو المصلحُ للشيء، بمعنى القائم عليه، والمدبر له[(٣)].

وعلى هذا فإن معنى الربوبية يتضمن المعاني اللغوية السابقة؛ ذلك أن الله

---

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ (ص: ١١٦).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (١/ ٤٠١).

(٣) انظر: مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، (ص٣٧٠)؛ ولسان العرب (١/ ٣٩٩).

عَزَّوَجَلَّ هو رب العباد وملكهم ومالكهم، وهو عَزَّوَجَلَّ سيدهم الذي يجب أن يطاع وحده لا شريك له، وهو عَزَّوَجَلَّ المربي لهم بالنعم، المصلح لأحوالهم.

❁ ثانيًا: معنى الربوبية شرعًا:

"هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك "(١)، قال ابن عثيمين: "توحيد الربوبية هو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق، والملك، والتدبير"(٢).

ومن هنا يتبين أن المطر شاهد على وحدانية الله، وأنه الخالق المالك المدبر المصرف له لا شريك له في ذلك.

المطلب الأول

المطر شاهد على ربوبية الله

❁ أولاً: دلالة المطر على الخلق والملك والتدبير:

من الأمور التي خاطب الله بها عباده الدعوة إلى التأمُّل في الكون، وأن الله

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص١٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ (١/ ٢١)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/ ١٢).

عَزَّوَجَلَّ هو الموجِد له، المنشئ له من العدم، وقد أشار القرآن إلى قدرة الله في خلق الماء وإنزاله من السماء في آيات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤]، فجعل الله المطر آيةً وإشارة إلى أفعاله العظيمة الدالَّة على وحدانيته وتفرُّده بالخلق.

كما بيَّن أن إنزال المطر مما اختصَّ الله به عَزَّوَجَلَّ وأنه من أفعاله الخاصَّة به، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل: ٦٥] فنسب إنزال الماء إلى نفسه، لا يشاركه فيه أحد، ولهذا وجَّه القرآنُ الكريم الدعوة المباشرة لعباده إلى التدبُّر والتفكُّر في خلقه للماء، وإنزاله للمطر، مخاطبًا إيَّاهم بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج: ٦٣].

وقد بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ اعتراف الكفار بأن الله هو خالق المخلوقات، وموجِدها من العدم، ومع إقرارهم بذلك إلا أن ذلك لم يشفع لهم؛ بل كان حجَّة عليهم وإلزامًا لهم بوجوب عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

فاذا كان إنزال الماء من السماء شاهدًا على وحدانيَّة الله، فإنه يجب على الخلق الإقرار بذلك، ونسبته إليه، والاعتراف بفضل الله على عباده في إنزال الماء، فهو القادر على ذلك وحده دون سواه؛ وهذا من كرم الله بعباده؛ إذ لو جُعل

المطر بيد أحد من الخلق لحبس هذه النعمة، ومنعها عن الناس، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]، جاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير: "قال الإمام مالك: كان أبو هريرة إذا مُطروا يقول: مُطرنا بنوء الفتح، ثم يقرأ هذه الآية: }ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسكَ لها...{"(١)؛ أي أن المطر فتح من الله عَزَّوَجَلَّ ليس لأحد قدرة على التحكُّم به.

۞ ثانيًا: الاستدلال على المطر بالبعث بعد الموت

جاء في آيات كثيرة من كتاب الله الربط بين قدرة الله في إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها، كمثال شاهد أمام أعين الناس، يثبت قدرته سبحانه على إحياء الموتى، وقد جاء هذا في عدة مواضع من كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]، وفي هذا بيان أن الذي أنزل الماء فأحيا الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى بعد موتهم، وبعثهم من قبورهم، كما أخرج النبات من الأرض، وهذا يستوجب من الانسان الإقرار بالبعث، والإقرار بربوبيته وشمول قدرته.

إن جميع ما سبق خليق بأن يجعل المسلم يتفكَّر في قدرة الله، وفي آياته العظيمة الدالَّة على كمال قدرته، وعلى ربوبيته، وأنه المستحقُّ وحده للاعتراف بربوبيته وألوهيته، فلا يَصرف من العبادة شيئًا لغير الله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٦/ ٤٧٢).

المطلب الثاني

حكم نسبة المطر إلى غير الله

يتَّضح من المطلب السابق أن المطر من الآيات الدالة على وحدانيَّة الله وربوبيته، وأنه المتصرف فيه وحده، وهذا يستلزم نسبة المطر إليه، لهذا سأبين في هذا المطلب حكم نسبة المطر إلى غير الله، وفيه مسألتان:

۞ المسألة الأولى: أقسام نسبة المطر إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ:

يختلف حكم نسبة المطر إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ باختلاف اللفظ الذي يطلقه الإنسان، والاعتقاد الذي يعتقده، ويمكن أن نقسم هذه النسبة إلى ثلاثة أقسام:

۞ أولاً: نسبة إنشاء وابتداء إلى غير الله.

وذلك بأن ينسب الإنسان نزول المطر إلى غير الله، مع اعتقاد وجود رب آخر معه، يستطيع إنزال المطر، وينشئه ويبدؤه، أو يتصرُّف ويتحكُّم فيه، وهذا -والعياذ بالله- شركٌ يستلزم الكفر؛ لأنه يعتقد وجود خالق مع الله، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، وكذا من ينسب المطر إلى غير الله مع إنكار ربوبية الله، وهذا كفر بالله.

جاء في الحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ

بِالْكَوْكَبِ»[١].

وقد جاء في بيان معنى الكفر في هذا الحديث: أن قائله إن كان ممن ينتسب إلى أهل الإسلام يعتقد أن للكوكب تأثيرًا وقدرة على خلق المطر وإنشائه وإنزاله، فهو كافر كفرًا أكبرَ مخرجًا من الملة، يستتاب قائله، فإن تاب قُبِل منه، وإن لم يتب فإنه يقام عليه حدُّ الرِّدَّه قتلًا بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع[٢]، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩]، فالمطر خلْقه وإنزاله من الله، والله -جل في علاه- لا شريك معه في خلقه.

❁ ثانيًا: نسبة المطر إلى سبب نزوله:

لما خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكون وأوجده أودع فيه أسباب الحياة والخلق؛ ليسير وفق مشيئته وإرادته، ومن ذلك جعلُ سببٍ لحمل المطر إلى حيث يشاء

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦٩) برقم: (٨٤٦) (كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم)؛ ومسلم في "صحيحه" (١ / ٥٩) برقم: (٧١) (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قَالَ مطرنا بالنوء).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة (٢/ ٥٢٣)؛ شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ (٣/ ٢٩)؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ (١٦/ ٢٨٦)؛ الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار قتيبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ (٧/ ١٥٣)؛ فتح الباري لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية (٩/ ٢٦٠).

إنزاله، قال جلَّ وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِى سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾ [النور: ٤٣]، والإيمان بالأسباب جزء من عقيدة المسلم، لكن يقابل ذلك الإيمان بأن هذه الأسباب مخلوقة لله مدبرة منه مأمورة بأمره، ليس لها تأثير منفرد عن مشيئته وقدرته؛ فالله خالق الأسباب والمسببات، لا يكون شيء في الكون إلا وَفق إرادته ومشيئته وعلمه، ولا يحصل شيء إلا بأمره؛ ذلك لأن السبب ليس فاعلًا بنفسه، بل بأمر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وعلى هذا؛ فإن نسبة المطر إلى السبب الذي ينزل به، مثل نسبته إلى الرياح أو النجوم أو السحب أو المنخفضات الجويَّة، أو غيرها من الأسباب، مع اعتقاد أن الله هو الخالق للمطر والمنزل له = ضلالٌ لا يجوز، كأن يقول: مُطرنا بسبب الرياح الفلانية، أو ظهور النجم الفلاني، دون أن ينسب ذلك إلى الله؛ فهذا كفر بنعمة الله، وجحد لها، وهو كفر لا يخرج من الملة؛ بل هو الكفر الذي يقابل الشكر[1]؛ ذلك لأن هذه الأسباب لا يمكن أن تكون مؤثرة بنفسها، لولا إرادة الله ومشيئته، فلا يجوز نسبة المطر إليها؛ بل يجب التزام اللفظ الشرعي في نسبة المطر؛ لأن الله نسب المطر إلى نفسه فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ [فاطر: ٢٧].

❁ ثالثًا: نسبة المطر إلى زمن جرت العادة به:

وهذا يكون بنسبة المطر إلى وقت وزمن جرت عادة الناس بنزول المطر

---

(١) انظر: فتح الباري لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي (٩/ ٢٦٤)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (١٦/ ٢٨٦)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ (٢/ ٦١).

فيه، كأن يقول: اعتدنا نزول الأمطار في الموسم المعين، أو في الشهر المحدَّد، مما جرت به العادة، مع تعليق ذلك بمشيئة الله وإرادته، فهذا جائز[1]، ويستدل العلماء على ذلك بقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للعباس: «يا عم كم بقي من نوء الثريا؟»، فقال العلماء: يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا، قال: فما مضت سابعة حتى مُطروا، وهذا الفعل من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سؤال عما جرت به العادة في الوقت والزمن المعهود لنزول المطر فيه، مع تعليق ذلك على فضل الله ورحمته، ولا يحمل على اللفظ المنهي عنه، من إضافة فعل المطر إلى النجوم؛ لأن ذلك مستقرٌّ ومتعارف عليه عندهم، أن النجوم لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة الله وإرادته[2]؛ لهذا يرى العلماء أن اللفظ الصحيح في ذلك أن يقول الإنسان: مُطرنا في الوقت الفلاني، أو في شهر كذا، ولا يقول بنوء كذا[3]، فإذا قال: مطرنا بنوء كذا وهو يقصد الوقت، جاز له، وإن كان استخدام اللفظ الشرعي أفضل؛ خروجًا من الإشكال، وابتعادًا عن اللفظ المنهي عنه.

۞ المسألة الثانية: صور من نسبة المطر إلى غير الله:

نسبة المطر إلى غير الله موضوع طُرح قديمًا، منذ العصر الجاهلي، ولا زال مستمرًّا إلى عصرنا الحالي، لكن بأوجه مختلفة؛ ولهذا سأوضح ذلك بمثالين:

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/ ٥٢٣)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٢/ ٦١).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٣/ ٢٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣/ ٢٩)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (٢٤/ ٣٨٠).

❁ **المثال الأول: نسبة المطر إلى النجوم والأنواء[١].**

نسبة المطر إلى النجوم من الأمور التي اعتادها الناس في الجاهليَّة قبل الإسلام، وقد أخبر النبي ﷺ باستمرارها بين العرب، وأنهم لا يدعونها[٢]، فهو أحد الموضوعات القديمة الحديثة باعتباره موضوعًا مستمرًّا بين الناس.

ويقصد بذلك أن ينسب المطر إلى طلوع أو أفول نجم معيَّن، فيقولون مُطرنا بنوء كذا، وقد جاء النهي عن ذلك في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢] جاء في هذه الآية النهي عن كفر نعمة الله وإضافتها إلى غيره؛ لأنهم كانوا يقولون: مُطرنا بنوء كذا[٣].

وقد جاء في السُّنَّة النهيُ عن نسبة المطر إلى الأنواء، جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح بالحديبيَّة على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما مَن قال:

---

(١) النوء مأخوذ من: ناء النجم؛ أي: سقط، وقيل: النوء هو الطلوع، وقد جمع العلماء بينهم فقالوا: إن طلوع نجم في المغرب يقابله سقوط النجم الآخر في المشرق، فمن أهل الجاهليَّة من ينسب المطر إلى النجم الساقط، ومنهم من ينسبه إلى النجم الطالع. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر (٢/ ٥٢٤)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٢/ ٦١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٤٥) برقم: (٩٣٤) (كتاب الجنائز، باب التشديد فِي النياحة).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ (ص: ٨٣٦).

بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[١]، وهذا الحديث يبيِّن أن الناس عند نزول المطر ينقسمون إلى قسمين:

الأول: مؤمنون، وهم من ينسب نزول المطر إلى الله اعتقادًا بذلك وقولًا، فيقولون: مُطرنا بفضل الله وبرحمته.

الثاني: كافرون، وهم من ينسب المطر إلى ظهور نجم معيَّن أو سقوطه. وقد ذهب العلماء في معنى الكفر هنا إلى قولين:

القول الأول: أن المراد بالكفر في هذا الحديث هو كفر الشرك المُخرِج من الملَّة، الذي يقابل الإيمان بالله، إذا كان قائل هذا القول يعتقد أن للنوء قدرةً على خلق المطر وإيجاده والتصرُّف به، وأن نزول المطر هو من فعل النوء لا من فعل الله، فهذا شرك أكبر، وكفر بالله، فإن كان القائل من أهل الإسلام معتقدًا قدرة النوء على خلق المطر، فقد خرج من الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله، وهو مرتدٌّ يُستتاب، فإن لم يتبْ فإنه يقام عليه حدُّ الردَّه[٢].

القول الثاني: أن المقصود بالكفر هنا هو كفر النعمة وعدم شكرها، وهو كفر لا يُخرج من الملَّة، ومن قال بهذا القول استشهد بعدَّة روايات جعلت الشكر مقابلًا للكفر، منها ما جاء عند مسلم من حديث ابْن عَبَّاسٍ قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»[٣].

---

(١) تقدم تخريجه صفحة ٣٢.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/ ٥٢٣)؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٣/ ٢٩)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (١٦/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١/ ٦٠) برقم: (٧٣) (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قالَ =

فقوله هذا يدلُّ على أن المقصود بالكفر ما يقابل الشكر، وهو كفر النعمة، لكن هذا القول في حقِّ من لم يعتقد أن للكوكب تدبيرًا وتصريفًا للمطر؛ بل اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة، فيكون الكفرُ كفرَ نعمة بإضافة شكرها إلى غير الله[1].

يتَّضح مما سبق أنه لا خلاف بين العلماء؛ فإن كان مَن يقول: مُطرنا بنوء كذا معتقدًا أن الكوكب هو الخالق والمنزِّل للمطر، فهو كافر كفرًا أكبرَ مُخرجًا من الملَّة؛ لأنه اعتقد وجود خالق مع الله، وإن كان القائل بذلك لا يعتقد وجود خالق مع الله، فقوله محرَّم لا يجوز، وقد جاء بكفر نعمة لا يُخرج من الملَّة، وعليه أن يغير اللفظ إلى القول الشرعي، وهو قول النبي ﷺ: «مُطرنا بفضل الله ورحمته».

۞ المثال الثاني: نسبة المطر إلى الاستمطار

يعتبر الاستمطار إحدى التقنيات التي أصبحت تستخدم حديثًا، لمحاولة التدخل البشري لإنزال المطر، ونسبة المطر إليه إحدى صور نسبة المطر إلى غير الله، وحتى تتَّضح صورة ذلك لا بدَّ من بيان معنى الاستمطار.

أولًا: بيان معنى الاستمطار لغةً:

تعريفه في اللغة: هو بمعنى الاستسقاء[2]، أي طلب نزول المطر.

=

مطرنا بالنوء).

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/ ٥٢٣)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٢/ ٦١)؛ والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/ ٢٨٦).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٥/ ١٧٨).

ثانيًا: معنى الاستمطار في الاصطلاح وحُكمه:

جاء الاستمطار في الاصطلاح بعدة معانٍ؛ لكونه من المصطلحات التي استخدمت قديمًا وحديثًا، وبيانها فيما يلي:

المعنى الأول: الاستمطار في الجاهليَّة، وهو عادة كانت في قريش يفعلونها حين يتأخَّر المطر، فيجمعون البقر، ويعقدون السلع والعشر[١] بين أذناب البقر وعراقيبها، ثم يضرمون فيها النار، معتقدين أن هذا العمل يكون سببًا في إنزال المطر، وتسمى هذه النار التي توقد بنار الاستمطار[٢]، وقد جاء الإسلام بإبطال هذه العادة، وجعل طلب السُّقيا بالطُّرق التي شرعها الله من الصلاة والدُّعاء والاستغفار والصدقة.

المعنى الثاني: جاء الاستمطار بمعنى التنبؤ بالمطر من خلال النظر في النجوم، وقد أشار إلى هذا المعنى كثيرٌ من العلماء في مصنَّفاتهم، تحت باب الاستمطار أو كراهية الاستمطار، فقد بوَّب الشافعي في كتابه (الأم): باب كراهية الاستمطار بالأنواء[٣]، وبوّب مالك في موطئه: باب الاستمطار بالنجوم[٤]، وبوّب النسائي في سننه الكبرى: باب كراهية الاستمطار بالكوكب[٥]، وغيرهم من العلماء، والمراد بالاستمطار هنا: التنبؤ بالمطر، بناءً على رؤية نجوم معينة، وهو

(١) العشر والسلع نوع من النباتات تظهر عند شح المطر، انظر: لسان العرب (٨/ ١٦١).

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ (١١/ ٢٢١).

(٣) انظر: الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ (١/ ٢٨٨).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، (٢/ ٢٦٨) (باب ما جاء في الاستمطار بالنجوم).

(٥) السنن الكبرى للنسائي، (١٦ / ٦٤٩).

ما سبق إيراده في مسألة حكم التنبؤ بالنجوم والأنواء[١].

المعنى الثالث: الإطلاق المعاصر للفظ الاستمطار، وقد جاء تعريفه في الموسوعة العربيَّة بأنه: عمليَّة إسقاط المطر من السحب بطريقة علميَّة تُجْرَى على السحب المتكوِّنة في الجوِّ، ويستخدم لأمرين: إما للمساعدة في إنزال المطر من خلال السحب، أو لتفريق السحب حتى لا تنزل الأمطار الغزيرة في مناطق معينة، ويتمُّ هذا عن طريق رش نترات الأمونيوم واليوريا من الطائرات فوق السحب لتساعد في إنزال الماء من السحب[٢]. وحكم الاستمطار بهذا المعنى فيه تفصيل:

أولًا: إذا كان يُقصد بالاستمطار أن يعتقد أن فعل الانسان وتدخُّله في محاولة إنزال المطر هو المنزل للمطر من غير مشيئة الله وقدرته، وأنه المنشئ له، فهو كفرٌ بالله، ويندرج الاستمطار بهذا المعنى تحت نسبة المطر إلى غير الله نسبة إنشاء وابتداء؛ ذلك لأنه لا يمكن لعمليَّة الاستمطار أن تعمل على خلق المطر، وتكوين الماء وإنشائه وابتدائه، بل هو من فعل الله عَزَّوَجَلَّ.

إن عمليَّة الاستمطار إنما تعمل على تحفيز السحب، من خلال رش موادَّ كيميائيَّةٍ لإنزال المطر، أو تعمل على تفريق السحب، حتى لا ينزل المطر، فهي إذًا عمليَّة لمحاولة التأثير في السحب فقط، دون تدخل في إنشائه وابتدائه، أما عمليَّة إنشاء السحاب وتكوين الماء فيه فلا يمكن للطائرات فعله؛ بل هو من فعل الله جلَّ وعلا، قال تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى

(١) انظر: البحث صفحة ١٩.

(٢) انظر: الموسوعة العربيَّة العالميَّة (1/1) World Book International.

ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٤٣].

ثانيًا: نسبة المطر إلى فعل الطائرات، وأنها مجرد سبب لإنزال المطر، مع اعتقاده أن الله -جلَّ في علاه- هو المنشئ والخالق للمطر والمنزل له، وأن ما يُفعل بواسطة الطائرات سبب في إنزال الماء، فإنه محرَّم ولا يجوز؛ لأمرين:

الأمر الأول: أن الاستمطار وسيلة من الوسائل، مثلها مثل غيرها من التقنيات الحديثة والاكتشافات، مثل التلقيح الصناعي للأجنة وغيره، فهو وسيلة وسبب، ولا يجوز نسبة العمل إلى وسيلته وسببه؛ لأنهما لا إرادة لهما ولا فعل ولا خَلق، وإنما هما تبع لمشيئة الله وقدرته وخلقه، وما تفعله هذه الطائرات من خلال رش المواد الكيميائية هو محاولة لإنزال المطر فقط، ومع ذلك قد لا ينزل المطر؛ لأن الله لم يشأ ولم يقدر، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وسبق بيان هذا في حُكم نسبة المطر إلى الأسباب.

الأمر الثاني: أن المطر يمرُّ بعدة مراحل، حيث يخلق الله السحاب، ثم يسوقه، ثم يؤلف بينه، ثم يجعله متراكمًا، ثم ينزل المطر، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾[النور: ٤٣] والاستمطار يقتصر عمله على المرحلة النهائيَّة فقط من خلال رش موادَّ كيميائيَّة تثقل بالسُّحب، مما يجعل السُّحب تنزل المياه الموجودة فيها، فكيف ينسب نزول المطر إلى الاستمطار؟

وبهذا يتبيَّن أن الاستمطار مجرد وسيلة من الوسائل المحفِّزة للسُّحب على المطر، فيجوز استخدامها كغيرها من الوسائل الحديثة، لكن لا يجوز نسبة المطر إليها؛ بل ينسب إلى الله.

المبحث الثاني
دلالة المطر على توحيد الألوهيَّة

وفيه تمهيد، وأربعة مطالب:

تمهيد

تقرَّر سابقًا أن الله جعل نزول المطر دلالة على ربوبيته، وهذه الربوبيَّة تستلزم تحقيق الألوهيَّة، وأن الله عَزَّوَجَلَّ هو المستحقُّ للعبادة وحدَه دون سواه؛ ولهذا شرع الله لنا عبادات متعدِّدة تتعلَّق بالمطر، لا يجوز صرفُها لغير الله، وقد رأيتُ أن أُبيِّن معنى تعريف الألوهية قبل بيان العبادات المتعلقة بالمطر:

أولًا: معنى (الألوهية) لغة: لفظ الألوهية أصله من: أَلِه يألَه بالفتح، والتأليه: التعبيد، والتألّه: التَّعَبُّد[١]، "والإله: الله عَزَّوَجَلَّ، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا، فهو إله عند متخذه"[٢]، قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وبهذا يتبين أن معنى الإله: المعبود، وهو يطلق على كل من عُبِد، سواء عُبِد بحق وهو الله جل وعلا، أو عُبِد بباطل مثل الآلهة التي تعبد من دون الله، وعلى هذا فإن معنى توحيد الألوهية هو: توحيد العبادة.

ثانيًا: معنى (الألوهية) شرعًا: هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو

---

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ص٢٠)، والعين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٤/ ٩٠).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (١٣/ ٤٦٧).

المستحق للعبادة، وإفراده بالعبادة وحده دون سواه[١]، وهذا النوع من التوحيد يسمى بتوحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله جل وعلا، ويسمى كذلك بتوحيد العبادة باعتبار إضافته إلى الخلق لتعلقه بالعبادات[٢].

وقد قسمت العبادات المتعلقة بالمطر إلى عبادات تشرع قبل نزوله، وعبادات في أثناء نزوله، وعبادات إذا كثر وخيف ضرره، يأتي بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول
العبادات التي تشرع قبل نزول المطر

شرع الله لنا في حالة احتباس المطر وانقطاعه وجدب الأرض بعضًا من العبادات التي يستجلب بها المسلم رحمة الله وعفوه، ويطلب فيها السقيا من الله، والاستسقاء لا يكون بطريقة واحدة منحصرة في الصلاة فقط، كما يعتقد بعض الناس؛ بل ورد الاستسقاء بأنواع متعدِّدة من العبادات، وهي:

۞ أولاً: الصدقة:

ورد في السُّنَّة أن الصدقة سبب من أسباب نزول المطر وسُقيا الناس، جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ:

---

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي (ص: ١١٤).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/ ١٤).

فُلَانٌ. لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[١]، فالحديث يدلُّ على أن الصدقة من العبادات المشروعة التي تكون سببًا في نزول المطر؛ ولهذا ورد أنه لما أجدبت الأرض، وشكى الناس أمرهم إلى النبي ﷺ وطلبوا منه أن يستسقي لهم، أمرهم بالصدقة، وقال: «إذا كان يوم كذا وكذا فاخرجوا معكم بصدقات»[٢]، ذلك أن الصدقة رحمة بالمسكين، والمطر رحمة من الله، فمن رحم عباد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، فأنزل عليه الغيث.

فإذا علمنا أن الصدقة سبب من أسباب نزول المطر، فبمفهوم المخالفة يكون منعها سببًا من أسباب حبس المطر عن العباد، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»[٣] لهذا جاء عن السلف الحثُّ على الاستسقاء بالصدقة، كما جاء عن كعب[٤]، وقد جاء عن ابن عباس قوله: «وإذا رأيت المطر قد حُبس

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٢) برقم: (٢٩٨٤) (كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة فِي المساكين).

(٢) الدعاء، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ (ص: ٥٩٦).

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ٥٤٠) برقم: (٨٧١٨) (كتاب الفتن والملاحم، ذكر خمس بلاء أعاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها للمسلمين)، قال فيه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، =

فاعلم أن الزكاة قد حُبست، ومنع الناس ما عندهم، ومنع الله ما عنده»[1]، وقد كان الولاة يرسلون إلى الأمصار يأمرونهم بإخراج الصدقة للاستسقاء[2]، وهذا يدلُّ على أن إخراج زكاة الأموال والصدقة من الأعمال المشروعة للاستسقاء، وأن منعها وعدم إخراجها من مُسبِّبات حبس المطر عن الناس؛ ذلك لأنهم إذا منعوا زكاة أمولهم، وامتنعوا عن العطاء، عاملهم الله بالمثل، فمنع عنهم المطر، وإن هم أعطوا وأخرجوا أموالهم أكرمهم الله، فأنزل عليهم رحمته.

۞ ثانيًا: الاستغفار

الاستغفار من العبادات التي شرعت للاستسقاء؛ ذلك أن الاستغفار طلب للصفح والعفو من الله تعالى بما يتضمنه من الإقرار بالذنب والتقصير في أداء الواجب اللذين يؤخران أو يحرمان الرزق، وإذ ذاك يكون العبد أقرب وأرجى إلى رحمة الله التي منها نزول المطر[3]، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [هود: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿ فَقُلۡتُ

=

١٤٢٣ هـ (٥/ ٢٢).

(١) انظر: حليَّة الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الفكر، ١٣٩٤ هـ واللفظ لابن عباس (٥/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (٤ / ١٧٥) برقم: (٧٨٣٤) (كتاب الزكاة، باب وقت إخراج زكاة الفطر) وعبد الرزاق في "مصنفه" (٣ / ٨٧) برقم: (٤٩٠٣) (كتاب الصلاة، باب الاستسقاء).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ (٢٣/ ٢٩٣) و(١٢/ ٤٤٤)؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (٤/ ١٨٢).

ﭐسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾ [نوح: ١٠ -١٢] يرسل السماء عليكم مدرارًا؛ أي: مطرًا متتابعًا، يسقي به الله العبادَ والبلادَ[١]. قد جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه خرج يستسقي، فما زاد على الاستغفار، فقالوا يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت، قال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء[٢] التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ الآيتين السابقتين[٣].

وهنا قد يردُ تساؤل عما إذا كان الإيمان بالله والتوبة والاستغفار من الأسباب التي يستسقى بها المطر، فهل الذنوب والمعاصي سبب للحرمان من المطر؟

جواب ذلك فيما يلي:

أولًا: أن المطر بنفسه قد يكون رحمة، وقد يكون عذابًا؛ لأن الله عذّب أقوامًا بالمطر، مثل قوم نوح لما كذبوه، قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴾ [القمر: ١٠-١١] لهذا كان النبي ﷺ يتغير وجهه

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص: ٨٨٩).

(٢) المجاديح، جمع مجدح، والمجدح أداة للطهي، تصنع من الخشب، وهي خشبة في رأسها خشبتان معترضتان يُحرك بها الطعام ويخلط حتى ينضج، ويطلق المجدح كذلك على نجم في السماء كان العرب يعتقدون أنهم إذا رأوه مطروا به؛ لهذا أراد عمر أن يبطل عادة الاستسقاء به فجعل الاستغفار سببًا للاستسقاء، وليس ظهور النجم؛ لأن الاستغفار من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطر، أنظر: لسان العرب (٢/ ٤٢٠)؛ ونيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، الطبعة الأولى(٤/ ١١).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣/ ٢٩٣)؛ ومصنّف عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٨٧).

عند رؤية السحاب الثقيل الذي يتوقَّع أنه يحمل المطر، جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَدَخَلَ وَخَرَجَ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَدْرِي، لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ الْآيَةَ»[١]. يقال: إن قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ حبس عنهم المطر مدة من الزمان، فلما رأوا السحاب والرياح استبشروا بأنه المطر الذي يغيثهم، فإذا هو عذاب من الله[٢]، وهذا يدلُّ على أن المطر قد يكون سخطًا من الله، وعقوبة لمن يكذب برسالته وينكر توحيده.

كما أن عدم نزول المطر قد يكون عقوبة وبلاءً، فإن الله قد عذب أقوامًا بالقحط والجدب، وقلة المطر، مثل قوم فرعون، قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

ثانيًا: أن الله بيَّن في كتابه العزيز أن الإيمان بالله وطاعته والاستجابة لرسوله سبب من أسباب نزول المطر، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قوله لفتحنا أي: لتتابع المطر من السماء والرزق من الأرض، فيكثر الخير، ويعمّ الأرض[٣]، قال ابن قدامة في هذه الآية: "إن المعاصي سبب الجدب،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٣٢) برقم: (١٠٣٢) (كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا مطرت).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (١٦/ ٢٠٥).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (٣/ ٢٦٠).

والطاعة تكون سببًا للبركات"[١]، وجاء في حديث أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مُطِرَ قَوْمٌ إِلَّا بِرَحْمَةٍ، وَلَا قَحَطُوا إِلَّا بِسَخْطَةٍ»[٢].

هذا يدلُّ على أن الإيمان والعمل الصالح سبب من أسباب فتح خزائن الأرض والسماء، وهطول المطر، ونزول الخير، وحلول البركة، وأن الذنوب والمعاصي سبب من أسباب الحرمان من المطر.

وهنا قد يرد تساؤل عما إذا كانت الذنوب والمعاصي والكفر بالله من أسباب منع المطر، وكانت طاعة الله وعبادته والأعمال الصالحة سببًا من أسباب الخير، فلماذا بلاد الكفار ممطرة أكثر من بلاد المسلمين؟

فيكون الجواب على ذلك بما يلي:

أولًا: أن الله سبحانه قد يحبس المطر عن عباده المسلمين؛ عقوبةً لهم بسبب ذنوبهم؛ وذلك حتى يعودوا إلى الله ويستغفروه ويدعوه، ويتوسلوا إليه أن ينزل عليهم خيره ورحمته، فيكون هذا المنع من الله سببًا في العودة إليه، والتضرع إليه.

ثانيًا: أن الله قد ينزل المطر على الكفار استدراجًا لهم بالنعم؛ ليزيد طغيانهم وكفرهم، وتقام عليهم الحجة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] فعطاء الله لهم

---

(١) المغني لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ (٢/ ٣١٩).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة(٤/ ١٢٦٠)؛ وأبو القاسم الرازي في الفوائد (٢/ ٢٥٨)؛ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، وقال فيه: "هذا إسناد ضعيف جدًّا" (٩/ ٤٥٣).

وإمهاله إنما هو ليزدادوا إثمًا وكفرًا وطغيانًا؛ فيكون عذابهم أشد وأقسى.

ثالثًا: قد ينزل الله المطر في بلاد الكفار رحمةً بالبهائم والحيوانات والمخلوقات حتى لا تهلك، وهذا من رحمة الله العامة بخلقه، قال النبي ﷺ: «وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»(١).

۞ ثالثاً: الدعاء

الدعاءُ وسؤال الله السقيا من العبادات المشروعة للاستسقاء وطلب المطر، وقد ورد ذلك في السنة من وجهين:

الوجه الأول: دعاء الله مباشرة، فرادى أو في جماعة، وهذا هو الأصل، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الوجه الثاني: طلب الدعاء بإنزال المطر من الصالحين.

وقد جاء في ذلك عدد من الأحاديث؛ منها:

أولًا: ورد في السنة أن النبي ﷺ استسقى بالدعاء، وقد جاء هذا في أحاديث متعدِّدة، وبصيغ مختلفة، منها:

- أن رَسُولُ اللهِ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه، صفحة ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢/ ١٢) برقم: (٩٣٢) (كتاب الجمعة، باب رفع اليدين في الخطبة).

– أن رَسُولُ اللهِ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا. اللَّهُمَّ أَغِثْنَا. اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»(١).

– عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَوَاكِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ»، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ(٢).

– قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ جِنَانِكُمْ، وَاحْتِبَاسَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٢٨) برقم: (١٠١٤) (كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٢ / ٥٣٦) برقم: (١٤١٦) (كتاب الصلاة، باب صفة الدعاء في الاستسقاء)؛ والحاكم في "مستدركه" (١ / ٣٢٧) برقم: (١٢٢٦) (كتاب الاستسقاء، تقليب الرداء والتكبيرات والقراءة في صلاة الاستسقاء) وقال فيه: "هذا حديث صحيحٌ إسناده على شرط الشَّيخين".

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (١١٧٣) (كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة الاستسقاء)؛ وابن حبان في "صحيحه" (٣ / ٢٧١) برقم: (٩٩١) (كتاب الرقائق، ذكر ما يدعو المرء به عند وجود الجدب بالمسلمين)، قال أبو داود: "وهذا حديث غريب، وإسناده جيد"، وقال الألباني: "إسناده حسن، وصححه ابن حبان، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي" صحيح أبي داود (٤/ ٣٣٧).

وهذه الأحاديث بمجموعها تدلُّ على أن من صيغ الاستسقاء الدعاء واللجوء إلى الله، وما يلزم الدعاء من الخوف والرجاء والابتهال إلى الله، والتضرُّع إليه، ورفع اليدين والالحاح في الدعاء، كما جاء عن النبي ﷺ أنه كان يدعي ويستسقي حتى يُرى بياض إبطيه؛ لشدة رفعه ليديه[١].

وبناءً على ما سبق؛ فإنه يشرع الدعاء بأي صيغة من الصيغ السابقة، وإن دعا من عنده دون تجاوز الحدِّ في الدعاء جاز له ذلك.

ثانيًا: الاستسقاء بطلب الدعاء من الغير.

وهذا يكون بسؤال الآخرين، وطلب الدعاء منهم بأن يُنزل الله المطر، وهو يدخل في باب التوسُّل، وله حالتان:

الحالة الأولى: التوسُّل بدعاء الأحياء، وهو مشروع، وقد جاء في السنة على صورتين:

الصورة الأولى: التوسُّل بدعاء النبي ﷺ بأن يستسقي للمسلمين، وقد جاء هذا في حديث الأعرابي الذي دخل على النبي ﷺ حين أجدبت الأرض، فقال: يا رسول، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه ودعا، فما برح المنبر حتى أنزل الله المطر[٢] وهذا الحديث يدلُّ على مشروعية طلب الاستسقاء من النبي ﷺ في حياته، أما بعد مماته فلا يجوز.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٢٤) برقم: (٨٩٥) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء فِي الاستسقاء).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٢) برقم: (٩٣٣) (كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة).

الصورة الثانية: التوسُّل بدعاء الصالحين، وهو من التوسُّل المشروع، ويكون بطلب الدعاء ممَّن يُتوسَّم فيه الخير والصلاح، رجاء قبول دعوتهم؛ لِما عُلِم عنهم من الخير والبر، كما جاء هذا من فعل عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ فَيُسْقَوْنَ[1].

الحالة الثانية: التوسُّل بالأموات وطلب الاستسقاء منهم.

سواء كان التوسُّل بالنبي ﷺ أو بغيره من الصالحين، فهو محرَّم لا يجوز؛ لأنه شرك بالله؛ ذلك لأنهم لا يملكون جلب نفع ولا دفع ضرٍّ، وهو من الشرك المنهي عنه، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٠]، فإذا كانوا عاجزين عن دفع الضر وجلب الخير لأنفسهم، فمن باب أولى هم أعجز عن جلب الخير للآخرين، وعن دفع الضر عنهم.

۞ رابعًا: الصلاة

يسنُّ عند تأخُّر نزول المطر أن يُهرع المسلمون إلى الصلاة، وأن يطلبوا السقيا من الله، جاء في ذلك أن النبي ﷺ خرج يستسقي فتوجَّه إلى القبلة يدعو وحوَّل رداءه، ثم صلى ركعتين جهر فيهما بالقراءة[2]، بلا أذان ولا إقامة[3]، يكبر

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٢٧) برقم: (١٠١٠) (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٣١) برقم: (١٠٢٥) (كتاب الاستسقاء، باب كيف حول النبي ﷺ ظهره إلى الناس)، ومعنى حوَّل رداءه؛ أي: جعل يمينه يساره أو أعلاه أسفله. تعليق البغا.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٢ / ٥٣١) برقم: (١٤٠٩) (كتاب الصلاة، باب ترك =

في الركعة الأولى سبع تكبيرات ثم يقرأ فاتحة الكتاب، و(سبح اسم ربك الأعلى)، وفي الركعة الثانية يكبر خمس تكبيرات ثم يقرأ فاتحة الكتاب و(هل أتاك حديث الغاشية)[1]، ويرى ابن كثير أنه يشرع قراءة سورة نوح؛ لأن فيها قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠][2]؛ ولعل ذلك لأن الاستغفار أحد أنواع العبادات التي شُرعت في الاستسقاء، فإذا جمع مع الصلاة الاستغفار كان أرجى في الإجابة، ويمكن الرجوع إلى أحكامها، وجميع ما يتعلق بها، في كتب الفقه التي تناولتها بالشرح والبيان[3].

وهذه العبادات التي شرعت للاستسقاء يمكن للمسلم أن يأتي بواحدة منها، ويمكن أن يأتي بها جميعًا، ولعل الجمع بين هذه العبادات أرجى في القبول والإجابة.

المطلب الثاني

العبادات التي تشرع عند رؤية السَّحاب الثقال

كان النبي ﷺ عندما يرى السحاب يتغير وجهه خوفًا أن يكون السحاب محمّلًا بمطر يهلك العباد، ويدمر البلاد، ويحمل معه العذاب والبلاء، وما ذاك

=

الأذان والإقامة لصلاة الاستسقاء) والحديث جاء في سنن ابن ماجه، قال فيه السندي: "إسناده صحيح ورجاله ثقات". انظر: حاشية السندي على بن ماجه: (١ / ٣٨٤).

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١ / ٣٢٦) برقم: (١٢٢١) (كتاب الاستسقاء، تقليب الرداء والتكبيرات والقراءة في صلاة الاستسقاء) قال فيه الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٨/ ٢٤٦).

(٣) انظر: كتاب صلاة الاستسقاء مفهوم، وأسباب، وأنواع، وآداب، وآيات، وحِكَمٌ، وأحكامٌ في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي (ص: ٢٩).

إلا لأن الله عذَّب أقوامًا بالمطر، مثل قوم نوح، وقوم هود حين عذَّبهم بالريح التي استبشروا بها أنها الغيث، وقد جاء في صحيح مسلم أنَ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ. فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي»، وَيَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: «رَحْمَةٌ»[١]، وفي رواية أخرى: أنه كان يترك ما هو فيه حتى لو كان وقت صلاة حتى يستقبل المطر، فإن أمطرت دعا، وإن لم تمطر حمد الله[٢].

والمسلم مأمور باتباع هدي النبي ﷺ، بالخوف عند رؤية السحاب الذي يتوقَّع أن يكون فيه مطر حتى تمطر؛ خشية أن يكون مطرَ عقوبةٍ وسخطٍ من الله، والخوف من العبادات القلبيَّة التي تزيد في إيمان العبد، ويستشعر معها الإنسان قدرة الله عليه، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ فكيف بغيره؟!

المطلب الثالث

العبادات التي تشرع عند نزول المطر

۞ أولاً: الدعاء

كان الدعاء من هدي النبي ﷺ إذا نزل المطر، فكان يدعو الله أن يجعل المطر نافعًا مباركًا وسُقيا رحمة، لا سقيا هدم ولا عذاب، ومن الأدعية الواردة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٢٦) برقم: (٨٩٩) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم).

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والاثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مكتب الدراسات، والبحوث في دار الفكر (٧/ ٣٢).

التي يُسنُّ للمسلم الدعاء بها اقتداءً بسنة النبي ﷺ ما يلي:

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: صَيِّبًا نَافِعًا»(١).

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّبًا هَنِيئًا»(٢).

- جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أن النبي ﷺ كان يَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: رَحْمَةٌ»(٣).

فهذه الأحاديث في مجملها تدلُّ على حرص النبي ﷺ على الدعاء عند نزول المطر بأن يكون مطر رحمة وخير لا مطر عذاب.

ومن الأمور التي تُشرع للمسلم الحرصُ على الدعاء لنفسه ولغيره وقت نزول المطر؛ لأنه من الأوقات المفضلة التي ترجى فيها إجابة الدعاء(٤).

قال الشافعي: "وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة"(٥)، فيستكثر من الدعاء.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢/ ٣٢) برقم: (١٠٣٢) (كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا مطرت).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٥ / ٥١) برقم: (٣٨٩٠) (أبواب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٢٦) برقم: (٨٩٩) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم).

(٤) انظر: الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المنار، ١٤٠٧ (ص: ٩٤).

(٥) الأم، محمد بن إدريس الشافعي (١/ ٢٨٩).

۞ ثانيًا: التبرُّك بماء المطر:

ماء المطر ماء مبارك طَهور، يُسَنُّ التبرُّك به، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق: ٩]، والماء المبارك هنا هو ماء المطر، قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: "البركة في القرآن المطر"[١]، لهذا جاء في السنة الحث على التبرُّك بماء المطر أوّلَ نزوله، قال أَنَسٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ. حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى[٢].

والتبرُّك به يكون بالتعرُّض للمطر، وكشف ما يستطيع من بدنه حتى تصيبه بركة المطر، وقد علَّل النبي ﷺ ذلك بأنه حديث عهد بربِّه. قال النووي: "معنى «حديثُ عهدٍ بربِّه»؛ أي: بتكوين ربِّه إيَّاه، ومعناه أن المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله- تعالى- لها فيتبرك بها"[٣]؛ أي أنه مخلوق جديد لم تنله يد الخلق، ولم تمسه، فكان حريًّا بالبركة، ولما يحمله المطر من الرزق والخير العميم.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على اتِّباع سنة النبي بالتبرُّك بماء المطر، فعن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ خَلَعَ ثِيَابَهُ وَجَلَسَ وَيَقُولُ: حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْعَرْشِ[٤]، وهذا من التبرُّك المشروع، ومن السنن التي فعلها النبي ﷺ وحرص الصحابة على فعلِها من بعده.

---

(١) العظمة، عبد الله بن محمد المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (٤/ ١٢٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٢٦) برقم: (٨٩٨) (كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (٦/ ١٩٥).

(٤) أورده ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٢٦٧٠٢) (كتاب الأدب: من كان يتمطر في أول مطره)، وقد انفرد به المصنف من هذا. الطريق.

المطلب الرابع

العبادات التي تشرع إذا كثر المطر وخيف الضرر

مما يُشرع إذا كثر المطر، وزاد عن حدِّه، وأصبح ينذر بخطر على الإنسان والبلاد والحيوان، أن يلجأ الناس إلى دعاء الله أن يُخفِّف عنهم نزول المطر، وأن يصرفه إلى بطون الأودية، بعيدًا عن المساكن والناس، جاء هذا في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمُطِرُوا مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَالْآكَامِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ». فَانْجَابَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ[(١)]. وفي حديث آخر أنه قال: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا[(٢)].

من خلال ما سبق تتضح جليًّا مشروعيَّة الدُّعاء قبل نزول المطر، وفي أثناء نزوله، وإذا كثُر وَخِيف منه، وهذا يدلُّ على أن الدعاء من أَجَلِّ العبادات التي تقوي الإيمان، وتجعل العبد على صلة بربِّه، لما يظهر فيها من الانكسار والانطراح بين يدي الله، والتذلُّل والانكسار والخوف والرجاء، والتبرؤ من الحَوْلِ والقوة، والاعتراف بالضعف والعجز، وسؤال الله والتعلُّق به، والافتقار إليه، وهذا كله من العبادات القلبيَّة التي يجب ألا تُصرف إلا لله وحده، قال ابن

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٢٩) برقم: (١٠١٧) (كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا تقطعت السبل من كثرة المطر).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٢٩) برقم: (١٠١٥) (كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر).

عبد البر: "والدعاء مخُّ العبادة؛ لما فيه من الإخلاص والخضوع والضراعة والرجاء، وذلك صريح الإيمان واليقين"(١).

كما ينبغي الإشارة إلى أن جميع العبادات المتعلقة بالمطر، التي ورد ذكرها فيما سبق، يجب ألا تُصرف إلا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ ذلك لأن الإقرار بتوحيد الربوبيَّة والاعتراف بأن الله وحده هو القادر على تصريف المطر وإنزاله، يستلزم من الإنسان ألَّا يصرف شيئًا من العبادة إلا لله جلَّ وعلا، سواء كانت عبادة متعلِّقة بالمطر أو غيرها، وهذا هو التحقيق الفعلي لمعنى توحيد الألوهيَّة.

المبحث الثالث

دلالة المطر على توحيد الأسماء والصفات

وفيه تمهيد، وخمسة مطالب:

تمهيد

يتجلَّى بعض معاني أسماء الله وصفاته في قدرته سبحانه على إنزال المطر، وبما يحمل الغيث من خير ورزق ورحمة للعباد، مما يوجب على المسلم استشعار معاني أسماء الله وصفاته التي يدل عليها المطر، وقبل بيان هذه الأسماء والصفات ينبغي التعريف بتوحيد الأسماء والصفات:

۞ أولاً: معنى الاسم لغة:

يحتمل اشتقاق لفظ (الاسم) مادتين، الأولى: من السُّمُوّ، بمعنى العلو والرفعة والظهور، ومنه السماءُ والسَّمَاوَةُ، فكأن الاسم علا فصَارَ عَلَمًا للدلالة

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (٣/ ٧٠).

على مَا تَحْتَهُ من الْمَعْنى.

الأخرى: من السِّمة بمعنى العلامة على الشيء، وإِنَّمَا سميت تِلْكَ الْكَلِمَة بالِاسْمِ؛ لكَونهَا عَلامَة على مسماها[١].

❁ ثانيًا: معنى الاسم اصطلاحًا:

الاسم كلمة تدل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان[٢]، أي أن الاسم يأتي دالًا على الذات، وهو يدل على معنى في نفسه دون أن يتعرض للأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، فإذا تعرض للزمن ودل عليه فهو فعل وليس اسمًا.

وعليه فإن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني[٣]، وهي في منتهى الحسن والرفعة والعلو.

وأسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ بل تتوقف على ما جاء به الكتاب والسنة[٤]، وهي كلها حسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ص: ١٥٥)، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ (١/ ٥٨)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، دار الهداية (٣٨/ ٣٠٥).

(٢) انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي، مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م (١/ ١٨٥)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (٣٨/ ٣٠٦)؛ والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، مؤسسة الرسالة (ص: ٨٣).

(٣) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ (ص: ٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ١٣).

ﵟٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَﵞ [الأعراف: ١٨٠].

❁ ثالثًا: معنى الصفة لغة:

أصلها من الوصف، "والصِّفَةُ: الْأَمَارَةُ اللَّازِمَةُ للشَّيْءِ، يقال لِلْخَادِمَةِ وصِيفَةٌ؛ لأَنَّهُا توصف عِنْدَ الْبَيْعِ"[١]، ووصف الشيء: هو نعته[٢]، بمعنى ذكر أوصافه وبيانها.

قال ابن تيمية: "(الصفة) مصدر وصفت الشيء أصفه وصفًا وصفة، مثل: وَعَدَ وعْدًا وعِدة، ووَزَنَ وزْنًا وزِنة، وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول كما يسمون المخلوق خلقًا، ويقولون: درهم ضرب الأمير، فإذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلمًا: سمي المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة، فيقال للرحمة والعلم والقدرة: صفة بهذا الاعتبار، هذا حقيقة الأمر"[٣].

❁ رابعًا: معنى الصفة اصطلاحًا:

هي: "ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية"[٤].

والله عَزَّوَجَلَّ قد وصف نفسه بصفات جاءت في كتابه أو على لسان رسوله،

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ (٦/ ١١٥)؛ ومجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي (ص: ٩٢٧).

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٧/ ١٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ (٦/ ٣٤٠)

(٤) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، (ص: ٣١)؛ والصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، (ص: ١٢).

وهي كلها صفات كمال وعظمة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، دل على ذلك الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

وصفاته تعالى كلها توقيفية لا مجال للعقل فيها، فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته(١)، قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، قال البغوي في بيان معنى المثل الأعلى: "قيل: جميع صفات الجلال والكمال"(٢).

❁ خامسًا: معنى توحيد الأسماء والصفات شرعًا:

عرّف ابن تيمية توحيد الأسماء والصفات بأنه: "وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فيُثبَت لله ما أثبته لنفسه، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه، إثبات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، ونفي ما نفاه عن نفسه من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته"(٣).

ولهذا فإنه يجب على المسلم أن يعتقد أن لله عَزَّوَجَلَّ أسماءً سمى بها نفسه، وصفاتٍ وصف بها نفسه، وأنها كلها حسنى، وهي على ظاهرها، وأن الله جل في علاه بعث رسله بإثبات مفصَّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، كما جاءت في كتاب الله وعلى لسان رسوله الله، ونفوا عنه ما لا يصلح

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص: ٢٨).
(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (٥/ ٢٥).
(٣) التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ (ص: ٧).

له من التشبيه والتمثيل، على وجه الإجمال لا التفصيل(١).

وهذه طريقة السلف في توحيد الأسماء والصفات، وعلى المسلم أن يؤمن بها كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل، وما ضل من ضل من الفرق إلا بإعمال عقولهم فيما لا تدركه عقولهم وأفهامهم.

وقد جعل الله المطر شاهدًا ودليلًا على كثير من أسماء الله وصفاته، وسأكتفي بذكر بعضٍ منها في المطالب التالية؛ لعدم القدرة على الإحاطة بها.

المطلب الأول

دلالة المطر على اسمي (الرحمن والرحيم) وعلى صفة (الرحمة)

المطر يحمل في طيَّاته رحمةً من الله لخلقه، بما يَعقُبُه من إنبات الزرع، وخروج الحَبِّ، وظهور الثمر، وتوفر الماء، وما يخرج من الأرض من طعام للماشية، فيكثر لحمها وشحمها وسمنها، ولولا رحمة الله بمخلوقاته لهلكت الدوابُّ وهلك الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]، لهذا سمّى اللهُ المطَر رحمةً؛ لما يحمل من رحمة الله بمخلوقاته، قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم: ٥٠] وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا رأى المطر: «رحمة»(٢)، وسمى نفسه بالرحمن والرحيم لأن رحمته وسعت كل شيء، والمطر أحد مظاهر رحمة الله بخلقه؛ ولهذا ينبغي على المسلم أن يستشعر معنى اسمي الله (الرحمن، والرحيم) ويتعبده بهما.

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٨).

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٥٣.

المطلب الثاني

دلالة المطر على اسم (العليم) وعلى صفة (العلم)

العلم على ضربين، علم مشاع هيأ الله للعباد أسباب معرفته، والناس فيه متفاوتون، ما بين مقلٍّ ومُكْثِرٍ، وعلم اختصَّ الله به، وحجبه عن خلقه، واستأثر الله به عنهم، وجعل مفاتيح هذا العلم بيده، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩]، وقد جاء في السُّنَّة بيان لمفاتح الغيب التي اختصَّ الله بها، فعن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا الله، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ»[(١)]، فجعل الله عَزَّوَجَلَّ إنزال الغيث من العلم الذي اختصَّ الله به، لا يعلم حقيقته أحد؛ لا ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مُرسَل، وقد ورد في اختصاص الله بهذا العلم قولان:

القول الأول: أنه لا يعلم متى ينزل الغيث الا الله، فإذا أمر به ملائكته ظهر علم ذلك لهم ولمن يريد أن يطلعه من خلقه عليه.

قال ابن كثير: "إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمرَ به علمتُه الملائكة الموكَّلون بذلك، ومَنْ شاء الله من خلقه"[(٢)]، فيكون العلم بالمطر مختصًّا بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعلم به أحد من خلقه إلا بعد أن يأمر الله به، فإذا أمر به أصبح علمُه لمن شاء من خلقِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١١٥) برقم: (٧٣٧٩) (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا).

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٦/ ٣١٥).

القول الثاني: أن المقصود من ذلك هو اختصاص الله بعلم نزول الغيث وقته، فلا يعلمه أحد[(١)]، قال قتادة: "فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلًا أو نهارًا[(٢)]، ويؤيد ذلك ما جاء في السُّنَّة في قوله ﷺ: «وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ»[(٣)]، وبهذا القول يكون الله عَزَّوَجَلَّ مختصًّا بعلم الغيث، لا يعلمه أحدٌ من خلقه.

ويمكن الجمع بين القولين السابقين؛ بأنهما متفقان على أن الله اختصَّ بعلم الغيب قبل الأمر به، وأما بعد الأمر به فقد يُطْلِع الله عليه مَن يشاء من عباده، ويحمل القول الثاني على أن نفي علم المخلوقين به يكون قبل الأمر به، ويُقاس على هذا أن الله عَزَّوَجَلَّ اختصَّ بعلم الأرحام، فلا يعلم ما فيها إلا هو، هذا قبل النفخ في الروح، وأما بعد النفخ في الروح فقد يُطْلِع الله مَن يشاء عليها.

قد يرد هنا تساؤل حول ما يصدر من الإخبار بأحوال الطقس، وتوقُّع نزول الأمطار مع استئثار الله بعلم نزول الغيث.

الجواب على ذلك يكون في عدَّة نقاط:

أولًا: أن ما يرد حول أخبار الطقس وتوقُّع هطول الأمطار مبنيٌّ على أساس دراسة لحركة السحب[(٤)]، وحركة الرياح، ومعرفة التضاريس[(٥)]، التي جرت

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص: ٦٥٣)؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٣/ ٣٠).

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، (٤/ ٢٤٥)؛ تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣١٨).

(٣) تقدم تخريجه صفحة ٦٢.

(٤) انظر: قواعد الجغرافيا العامة الطبيعيَّة والبشريَّة، جودة حسنين جودة - فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية (ص: ٢٨١).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٥٧)؛ والجغرافيا المناخيَّة والنباتيَّة، عبد العزيز طريح شرف، =

العادة أنه إذا اجتمعت هذه الأسباب فإنه يحتمل نزول المطر؛ ذلك أن الله جعل للمطر أسبابًا متعلقة بحدوثه، مثل غيره من بقيَّة المخلوقات، وقد وضَّح الله ذلك في كتابه، فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فعلماء الطقس عند دراستهم لهذه الأسباب يُصدرون توقعهم بنزول المطر دون الجزم بذلك.

ثانيًا: ما يصدر من الأرصاد الجويَّة كلُّه مجرد توقُّعات وتخمينات قد تصيب وقد تخطئ، ولكن لا يُقطع بها ولا يُجزم بذلك.

ثالثًا: أنه لا يعلم متى ينزل المطر على وجه التأكيد إلا الله، ولا يعلم كميته وعدد قطراته والأرض التي سيصيبها إلا الله، فدلَّ هذا على أن علم الغيث من العلوم التي اختَصَّ الله بها نفسه سبحانه.

رابعًا: ما بينته سابقًا أن علم المطر مما اختص الله به قبل الأمر به، وأما بعد الأمر به فعلى الرأي الراجح أنه يصبح ممكنًا لمن شاء من خلقه، لكن لا يجزم ويقطع به.

المطلب الثالث

دلالة المطر على اسم (الرزاق) وعلى صفة (الرزق)

المطر رزق من الله لعباده؛ حيث جعله أصلًا لمادة الرزق وأساسًا له، على اختلاف في كيفيته ونوعه[1]، ذلك أن الله -جلَّ في علاه- يُنزل الماء من السماء

=

دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الحادية عشرة (ص: ٢١١).

(١) انظر: البراهين الإسلاميَّة في رد الشبهة الفارسيَّة، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، مكتبة الهداية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ (ص: ١٣٧).

فيخرج الرزق للإنسان والحيوان؛ لهذا سماه الله في كتابه رزقًا، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢]، لذا وجَّه القرآن الكريم عباده إلى استشعار هذه النعمة وشكر الله عليها، والاعتراف بالفضل لله، قال تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢]، جاء في تفسير هذه الآية أنه كان من عادة الجاهليَّة إذا نزل عليهم المطر قالوا مُطرنا بنجم كذا، فينسبون رزق الله لهم بالمطر إلى النجوم، فجاءت الآية توبيخًا لهم؛ بسبب أنهم يجعلون شكر الرزق الذي رزقهم الله -وهو المطر- إلى غير الله[1]، وقد سمى الله نفسه (الرزاق)؛ لأن رزقه يشمل جميع مخلوقاته العلوية والسفلية، فما من مخلوق إلا وهو يتقلب في نعمه، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

المطلب الرابع

دلالة المطر على اسم (الخالق) وعلى صفة (الخلق)

المطر يدلُّ على صفة الخلق والإيجاد لله عَزَّوَجَلَّ، وقد جاء هذا في آيات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [الزمر: ٢١]، وقد أقرَّ المشركون بأن الله هو الخالق، ومع هذا لم ينفعهم إقرارهم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

والمطر أحد مظاهر قدرة الله على خلق المخلوقات، وتصريفها وتدبيرها

---

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (٥/ ١٦١).

كيف يشاء، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم[1]، وقد سمى نفسه الخالق في مواضع عديدة من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾[الحشر: ٢٤].

المطلب الخامس

دلالة المطر على اسمي (المحيي والمميت) وعلى صفتي (الإحياء والإماتة)

وردت آيات كثيرة تبيِّن قدرة الله عَزَّوَجَلَّ على إحياء الأرض بعد موتها، وقد جعل الله المطر أحد مظاهر قدرة الله على الإحياء والإماتة[2]، وقد جعله الله شاهدًا على كمال قدرته على بعث الموتى من قبورهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]، فهذه الآية العظيمة فيها دعوة إلى التأمل في خلق الله، توجب على المسلم استشعار معنى اسمي الله (المحيي والمميت).

وفي هذا المبحث عرضت بعضًا مما تضمنته أدلة نزول المطر من أسماء الله وصفاته، والواجب على المسلم أن يستشعر هذه الصفات والأسماء، وأن يؤدي حقَّها لله عَزَّوَجَلَّ، من غير تكييفها أو تمثيلها بصفات المخلوقين، أو تحريف معانيها اللائقة بالله تعالى، وهو ما أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ص: ٢٠).

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، دار الثقافة العربية (ص: ٥٦).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أرى أنه من المناسب ذكر أهمِّ النتائج التي توصلت إليها، وهي تتمثل فيما يلي:

١-أن المطر دليل وشاهد على ربوبيَّة الله، وهذا يستلزم إثبات ألوهيته، أنه المستحق للعبادة وحدَه دون سواه.

٢-أن المطر خلقٌ من خلق الله، وهو من أفعاله الخاصَّة به، لا يشاركه في غيره.

٣-أن الله أمر عبادة بالتفكُّر والتأمُّل في قدرته على إنزال المطر.

٤-الاستدلال على البعث بقدرة الله على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها.

٥-أن الحُكم على نسبة المطر إلى غير الله تختلف بحسب اللفظ والاعتقاد، فإذا نَسب المطر إلى غير الله معتقدًا أن غيره قادر على خلق المطر، فهو كافرٌ كفرًا مخرجًا من المِلَّة، وأما إذا نسب المطر إلى الأسباب معتقدًا أن الله خالق السبب والمسبب وإنما نسبه إليها على أنها علامة على نزول المطر -لكن في نسبته إيهام فهو مؤاخذ على اللفظ- فهذا محرَّمً لا يجوز، وإذا نسبها إلى وقت اعتاده الناس معتقدًا أن المطر من خلق الله جاز ذلك.

٦-أن نسبة المطر إلى النجوم كفرٌ، فإذا اعتقد أنها تخلق المطر فهو كفر مخرج من المِلَّة، وإذا لم يعتقد أنها تخلق المطر فهو كفر نعمةٍ لا يخرج من المِلَّة.

٧-أن الاستمطار بالمعنى المعاصِر يُطلق على فعل الطائرات، من خلال محاولة التأثير في السُّحب، ويختلف حكمه بحسب ما يعتقده الإنسان.

٨-أن الاستمطار بالطائرات وسيلة تخضع لمشيئة الله، يجوز استخدامها، لكن لا يجوز نسبة المطر إليها.

١٠-أن الله شرَّع عبادات تتعلَّق بالمطر، لا يجوز أن تُصرف لغير الله.

١١-أن الاستسقاء لا يقتصر على الصلاة فقط؛ بل يُشرع كذلك الدعاء والاستغفار والصدقة والصلاة.

١٢-أن الذنوب سبب من أسباب حبس المطر، والطاعات سبب من أسباب نزول المطر.

١٣-أنه يُشرع الخوف عند رؤية السحاب المحمَّل بالمطر، خشية أن يكون عذابًا.

١٥-أن الدعاء من العبادات التي تشرع عند نزول المطر.

١٦-من السنة التبرُّك بماء المطر عند أول نزول له، وحسر الثوب والتعرُّض له.

١٧-أن الدعاء مشروع عند كثرة نزول المطر والخوف من الضرر.

١٨-أن المطر دال وشاهد على بعض صفات الله، مثل صفة الرحمة والعلم والرزق والخلق والإحياء والإماتة.

١٩-أن علم المطر مما اختصَّ الله به نفسه سبحانه، فاذا أمر بالمطر جعل علمه متاحًا لمن أراد من خلقه.

في نهاية البحث أوصي بما يلي استكمالًا للفائدة:

- بحث دلالة المطر في بقية مسائل الاعتقاد مرتبة على أركان لإيمان.

- بحث بقية الظواهر الكونية كالرياح والزلازل وغيرها مرتبة على أركان الإيمان.

في الختام يبقى هذا العمل عملًا بشريًّا معرضًا للنقص والخطأ، فإن أصبت فبتوفيق الله وتسديده، وإن أخطأت فأستغفر الله وأتوب إليه، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.



المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: ا الثانية، ١٤٠٨ هـ.

٣- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار قتيبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.

٤- الأم، الامام ابي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ.

٥- البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، مكتبة الهداية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ.

٦- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.

٧- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، مكتبة العبيكان، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٩- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٠- الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الحادية عشرة.

١١- الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣.

١٢- الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ.

١٣- السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.

١٤- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

١٥- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ.

١٦- الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧- العظمة، عبد الله بن محمد المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

١٨- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، دار

ومكتبة الهلال.

١٩- الفوائد، تمام بن محمد الرازي أبو القاسم، مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ، الرياض.

٢٠- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢١- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٢٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة– لبنان.

٢٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي.

٢٥- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المجلس العلمي والمكتب الإسلامي الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

٢٦- المصنف لابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، دار القبلة –السعودية، مؤسسة علوم القرآن –سوريا، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦م.

٢٧- المغني لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي،

مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٢٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ.

٢٩- الموسوعة العربية العالمية، من دائرة المعارف العالمية World Book International.

٣٠- الموطأ، مالك بن أنس المدني، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية -أبو ظبي -الإمارات، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، الناشر دار الهداية.

٣٣- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، دار الثقافة العربية.

٣٤- تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢، السنة ٣٣ -١٤٢١هـ.

٣٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م.

٣٦- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٩- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الفكر، ١٣٩٤هـ.

٤١- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني، دار الفكر، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٢- شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.

٤٣- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.

٤٤- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٤٥- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، المكتب الإسلامي-بيروت.

٤٦- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة ١٣٧٩.

٤٨- فتح الباري لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر.

٥٠- قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، جودة حسنين جودة -فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية.

٥١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ.

٥٢- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥٣- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٥٤- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد

القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥٥- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.

٥٧- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥٩- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الحنفي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى -١٩٩٦م.

٦٠- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.



الفهرس

  